عناية المرأة بعلوم القرآن والحديث في الغرب الإسلامي

بقلم:

د / حدة سابق وأ.د/ مختار نصيرة

كلية أصول الدين ـ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ـ قسنطينة.

ملخص

يعالج هذا البحث مدى عناية المرأة المسلمة في الغرب الإسلامي بطلب العلم عموما، وبالتفسير وعلوم القرآن وعلوم الحديث على وجه الخصوص، من حيث التلقي والأداء، والإجازات، وإلقاء الدروس، والتأليف، والتعقّبات، ورحلاتها في طلب العلم، والعوامل التي ساعدتها في ذلك.

- الكلمات المفتاحية: عناية – القرآن– الحديث – الغرب الاسلامي.

Women's care in the sciences of Quran and Hadith in the West of the Islamic homeland

By: Pr: Mokhtar Necira & Dr: Hadda Sabec
E.A.K. University Constantine-Algeria.

Abstract:

This research deals with the extent of the attention of Muslim women in the Muslim West applied science generally, and interpretation and Quranic sciences talk, in particular, and science, in terms of reception and performance, vacation, lecturing, and writing, and the pursuits, and flights in the application of science, and the factors that helped her in it, and made us address "Muslim women care science Quran and Hadith in the Islamic West".

Key Word: Sciences of Quran – Hadith – Women – Care – West – Islamic Homeland.

مقدمة

لقد كان للمرأة موقع بارز في العناية بالعلم تلقيا وأداء منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم، فكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مكثرة من الرواية، ومفسرة لعديد من آيات القرآن الكريم، ومتتبعة ومستدركة لعدد من الصحابة في مروياتهم، مصححة أخطاءهم بواقع الرواية الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهكذا سار على دربها بعض الصحابيات، والتابعيات، وتابع التابعيات، ففي كل طبقة نجد منهن من تعتني بدراسة أبواب مختلفة من العلوم الشرعية أخذا وأداء، فمنهن من اعتنت بالفقه وأصوله، ومنهن من اعتنت برواية الحديث وأدائه، ومنهن من وجهت عنايتها للقرآن الكريم وقراءاته جمعا وأداء، ومنهن بغير ذلك كالأدب والبلاغة والشعر والتاريخ؛ فالتاريخ زاخر بجهود النساء اللواتي نذرن حياتهن للعلم تلقيا وأداء.

ولا يضير ذلك قلة عدد النساء العالمات والباحثات، فالأمر ذو علاقة بالقواعد الحياتية العامة، من طرق العيش والاجتماع، والعرف السائد في الحواضر وغيرها، مما يفرض قيودا على المرأة فيجعل حركتها مقيدة، ودائرة شيوخها محدودة؛ ومع ذلك كان الإصرار والتحدي لولوج مجالات تعد حكرا على الرجال في الغالب لما يتطلبه العلم من العناء الشديد، من ملازمة الشيوخ، وكثرة الرحلات العلمية.

ومع هذه المعوقات، تذكر لنا مصنفات التاريخ والمعاجم والفهارس وتراجم العلماء عددا لا بأس به من النساء اللاتي سجلن أنفسهم في سجلات تاريخ المعرفة العلمية، كل منهن حسب ميدان طلبها، وقدرة استيعابها، والظروف المحيطة بها.

وفي هذا البحث سنقف على جهود المرأة في الغرب الإسلامي في ميداني التفسير وعلوم القرآن، والحديث وعلومه، فنبين مجال المشاركة العلمية وشكل مشاركتها، وفي كل ذلك نورد ما وقفنا عليه من تراجم النساء.

والمتتبع لتاريخ الغرب الإسلامي منذ الفتوحات الإسلامية إلى العصور المتأخرة والحاضرة يلحظ عناية المرأة بتلقي العلم، وإعطائه العناية الكبيرة، وقد عرفت المنطقة من أوائل الوافدين إليها "عابدة المدنية" أم ولد حبيب بن الْوَلِيد المرواني الملقب دحون، هذه العالمة كانت تروي عَن مَالك بن أنس وَغَيره من عُلَمَاء الْمَدِينَة، فتسند حَدِيثا كثيرا وَهبهَا لدحون فِي رحلته إِلَى الْحَج مُحَمَّد بن يزِيد بن مسلمة بن عبد الْملك ابْن عَمه فَقدم بهَا الأندلس وَقد أعجب بعلمها وفهمها [1].

أيضا نجد أم الْحسن بنت أبي لِوَاء سُلَيْمَان بْن أصبغ بْن عَبْد اللَّه بن وانسوس بن يَرْبُوع المكناسي، رَوَت عَن بَقِي بن مخلد (ت 276هـ)، وكان لها منه يومٌ في الجُمُعة تنفردُ به لأخْذِ العلم في دارِه، وممّا قرأتْ عليه بلفظِها: "كتابُ الدُّهور" وأبو القاسم أحمدُ ابنُه – يعني ابن بقي – يُمسكُ أصلَ الشّيخ، وكانت صالحةً زاهدةً فاضلة عاقلةً، وحجَّت وسَمِعت هنالك الحديثَ والفقهَ وعادت إلى الأندَلُس، ثم حَجَّت ثانيةً، وتوفِّيت بمكّةَ شرَّفَها الله".. وَقع ذكر أم الحسن فِي كتاب فَضَائِل بَقِي بن مخلد [2]. إذا فعناية المرأة بطلب العلم في الغرب الإسلامي كانت قديمة منذ القرن الثاني.

وقسمنا المقال إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العوامل المساعدة للمرأة في الغرب الإسلامي على طلب العلوم الشرعية.

المطلب الثاني: عناية المرأة بالقرآن الكريم وعلومه.

المطلب الثالث: مشاركة المرأة في مجال الحديث وعلومه.

المطلب الأول
العوامل المساعدة للمرأة في الغرب الإسلامي على طلب العلوم الشرعية

هناك جملة من العوامل تدعو المرأة لطلب العلم ومدارسته، والارتقاء في مدارجه، حتى تنافس في ذلك الكبار، وتعقد المجالس، وتؤلف المصنفات، من تلك العوامل:

أولا: الجو العلمي داخل البيت: يعد هذا العامل من أهم وأبرز العوامل التي تدفع المرأة لطلب العلم وسبر أغواره، فإذا كان أحد الأبوين أو كلاهما من أهل العلم، أو بعض الإخوة أو الجد أو الأخوال أو غيرهم من أهل العلم قد يكون ذلك محفزا للمرأة لطلب العلم، وذلك من خلال كثرة مجالسة هؤلاء، أو التعامل مع مكتباتهم، أو تردد العلماء وطلاب العلم على البيت، فيكون عاملا بارزا لدفع المرأة لخوض غمار الطلب والبحث.

ومن خلال تتبع عدد من كتب التراجم والمعاجم، وقفنا على ما يؤكد أثر هذا العامل في تكوين الشخصية العلمية للمرأة العالمة بالغرب الإسلامي، من ذلك:

1. زَيْنَب بنت أبي عمر يُوسُف بْن عَبْد اللَّه بْن مُحَمَّد بن عبد الْبر النميري سَمِعت أَبَاهَا كثيرا، وسكنت مَعَه شَرق الأندلس[3].

2. أم الْفَتْح، فَاطِمَة بنت أبي الْقَاسِم عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن غَالب الشراط من أهل قرطبة(ت613هـ)، أخذت عَن أَبِيهَا قِرَاءَة نَافِع، وختمت عَلَيْهِ بهَا الْقُرْآن غير مرّة، واستظهرت عَلَى أبيها الشهَاب للقضاعي، والتنبيه لمكي، ومختصر الطليطلي، وقابلت مَعَه صَحِيح مُسلم والسيرة لأبي إِسْحَاق، والكامل، والنوادر وَغير ذَلِك. وَسمعت من لَفظه كثيرا وحفظت من شعره فِي الزّهْد.

حدث عَنْهَا ابْنهَا أَبُو الْقَاسِم بن الطيليان، وَقَرَأَ عَلَيْهَا الْقُرْآن بِقِرَاءَة ورش، وَقَرَأَ عَلَيْهَا مَا عرضت على أَبِيهَا من الْكتب، وَسمع مِنْهَا غير شَيْء وأجازت لَهُ بخطها. قَالَ وأظن أَبَا مَرْوَان بن مَسَرَّة أَجَاز لَهَا[4].

3. لالا غيلانية بنت الفقيه محمد غيلان (ت1189هـ): كانت عالمة نساء تطوان لقنها والدها علوم القرآن والحديث والعربية والفقه تفتي النساء[5].

4. زَيْنَب بنت مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الرَّحْمَن الزُّهْرِيّ (555هـ – ت635هـ) من أهل بنسية ، وأبوها يعرف بِابْن مُحرز، سَمِعت جدها للْأُم أَبَا الْحسن بن هُذَيْل وَأخذت عَنهُ كتاب التَّقَصِّي لما في الموطأ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي عمر بن عبد الْبر. وَقد أَخذ عَنْهَا بِيَسِير، وَسمع مِنْهَا[6].

5. أم السعد بنت عِصَام بن أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن إِبْرَاهِيم بن يحيى الْحِمْيَرِي من أهل قرطبة، وتعرف بسعدونة، لَهَا رِوَايَة عَن أَبِيهَا وجدهَا وخاليها أبي الْقَاسِم عَامر وَأبي عِيسَى أبي بكر ابْني أبي الْوَلِيد هِشَام بْن عَبْد اللَّه بْن هِشَام الْأَزْدِيّ [7].

6. ضوء الصَّباح، ظَبْيَة أم الرمال بنت الشَّيْخ فَخر الدّين عُثْمَان بن مُحَمَّد بن عُثْمَان التوزري، (669هـ – 734هـ)، سمعت من أَبِيهَا وَغَيره، أسمعها أَبوهَا أبا بكر بن الْأنمَاطِي كتاب مَكَارِم الْأَخْلَاق للخرائطي وَغير ذَلِك[8].

7. زينب بنت إبراهيم بن يوسف بن قرقول، سمعت على أبيها، وهي عالمة ضابطة متقنة الرواية[9].

ثانيا: الرحلات العائلية: وهذا أيضا عامل مهم في رسم الشخصية العلمية لدى المرأة، وسواء كانت الرحلة إلى البلدات القريبة، أو البعيدة كأن تكون الرحلة إلى بجاية أو تونس أو مصر أو مكة المكرمة، أو المدينة، أو العراق أو غيرها من البلدان، وسواء كانت الرحلة لطلب العلم، أو للتجارة، أو للعبادة، فالرحلة في حد ذاتها قد تكون فيها مواقف تدفع إلى طلب العلم، وخاصة إذا المرافق من أهل

العلم، أو قريبا منهم، وفيما يلي نورد بعضا من النساء اللاتي كان السفر والرحلة سببا في طلبهن للعلم واشتغالهن به:

1. فَاطِمَة بنت سعد الْخَيْر الْأَنْصَارِيّ البلنسي (ت600هـ) سَمعهَا أَبوهَا بأصبهان وَغَيرهَا وببغداد من أبي بكر مُحَمَّد بن عبد الْبَاقِي وَأبي مَنْصُور الْقَزاز وَغَيرهمَا وَحدثت بِمصْر، وسماعها صَحِيح كثير ذكرهَا ابْن نقطة[10].

2. أم الحياء صفية بنت محمد بن محمد بن عمر بن عنقة (القرن التاسع الهجري)، البسكرية الأصل المدنية، محدثة، من فضليات النساء. سكن أبوها المدينة المنورة، فنشأت بها. قال السخاوي: حضرت على جدها لأمها جمال الدين يوسف بن إبراهيم بن البناء نسخة أبي مسهر. وسمعت على ابن صديق، وأجاز لها أبو هريرة بن الذهبي، والتنوخي، وابن أبي المجد وجماعة، وحدثت، وأخذ عنها النجم بن فهد[11].

3. عائشة بنت علي بن عمر بن شبل الصنهاجي الحميري (ت 1338م): عالمة بالحديث. روته، وحدثت بالكثير.قال ابن حجر العسقلاني: "حدثنا عنها بالسماع أبو المعالي الأزهري وغيره. وتوفيت بمصر"[12].

4. أم الْعَلَاء، سيدة بنت عبد الْغَنِيّ بن عَليّ بن عُثْمَان الْعَبدَرِي من أهل غرناطة (ت647) نَشَأت بمرسية وتعلمت الْقُرْآن وبرعت فِي ذَلِك وجاد خطها وَعلمت فِي ديار الْمُلُوك عمرها كُله إِلَى أَن أصابتها زمانة أقعدتها بدارها نيفا على ثَلَاثَة أَعْوَام، وعلمت الْقُرْآن بغرناطة، ثمَّ لَحِقت بتونس فَعلمت بقصرها أَيْضا وكتبت بخطها كتاب إِحْيَاء عُلُوم الدّين لأبي حَامِد الْغَزالِيّ من أصل أبي زَكَرِيَّاء الدمشقي[13].

5. ابْنة فائز الْقُرْطُبِيّ زوج أبي عبد الله بن عتاب(ت446هـ)، إضافة إلى جمعها للسبعة، فقد كَانَت مِمَّن اشتهر بِحِفْظ الْعلم وَالْأَدب وتفننت. وأخذت عَن أَبِيهَا فائز علم التَّفْسِير واللغة والعربية وَالشعر.

وَخرجت من قرطبة إِلَى دانية للقاء أبي عَمْرو المقرئ وَأخذ الْقرَاءَات عَنهُ فألفته مَرِيضا من قرحَة بصلبه كَانَت مِنْهَا منيته فَحَضَرت جنَازَته، ثمَّ سَأَلت عَن أَصْحَابه فَذكر لَهَا أَبُو دَاوُد فلحقت بِهِ بعد وُصُوله إِلَى بلنسية وقرأت عَلَيْهِ الْقُرْآن بالقراءات السَّبع وجودتها، وضبطت عَلَيْهِ الْمُصحف على الْقرَاءَات السَّبع فِي آخر سنة أَربع وَأَرْبَعين وَأَرْبع مائَة [14].

6. خديجة بنت أبي محمد عبد الله بن سعيد الشنتجيالي سمعت مع أبيها من أبي ذر عبد بن أحمد الهروي صحيح البخاري وغيره. وشاركت لأبيها في السماع من شيوخه بمكة حرسها الله، قال ابن بشكوال: "ورأيت سماعها في أصول أبيها بخطه. وقدمت معه الأندلس وماتت بها رحمها الله" [15].

المطلب الثاني

عناية المرأة بالقرآن الكريم وعلومه

يعد حفظ القرآن الكريم وتحصيل إجازاته بمختلف القراءات، مجالا مهما، توليه المرأة في الغرب الإسلامي اهتمامها بالغا؛ ولعل هذا راجع ليسر تحصيله، دون غيره من المجالات الأخرى فممن جمعن القراءات السبع وغيرها: ريحانة، قرأت بالمرية القراءات كلها على المقرئ أبي عمر، ثم قرأت عليه خارج السبع وأجازها، ذكر ذلك أبو جعفر الضبي في بغية الملتمس[16].

- كما جمع عدد من النساء القراءات السبع ودرسن بها، منهن:

1. أم العز بنت محمد بن علي بن أبي غالب العبدري (ت616هـ) [17]: كانت حافظة لكتاب الله قائمة عليه مجودة له بالسبع [18].

2. الغسانية، زوجة عتيق بن محمد بن علي الغساني نزيل مراكش: كانت أستاذة القراءات بالسبع[19].

3. ابْنة فائز الْقُرْطُبِيّ زوج أبي عبد الله بن عتاب(ت446هـ)، ذكرهَا أَبُو دَاوُد

المقرئ وَلم يسمهَا، لحقت بِأبي داودِ إِلَى بلنسية وقرأت عَلَيْهِ الْقُرْآن بالقراءات السَّبع وجودتها، وضبطت عَلَيْهِ الْمُصحف على الْقرَاءَات السَّبع فِي آخر سنة أَربع وَأَرْبَعين وَأَرْبع مائَة [20].

4. خديجة بنت هارون بن عبد الله الدكالية(ت695هـ)، قرأت القرآن بالروايات السبع وحفظت الشاطبية[21].

- واكتفى بعض النسوة بتحصيل بعض القراءات فقط، منهن:

1. أم قاسم الحسناوية المكناسية: حفظت القرآن بنافع والمكي والبصري[22].

2. أم الْمعز بنت أَحْمد بن عَليّ بن هُذَيْل من أهل بلنسية (ت636هـ) أخذت قِرَاءَة ورش عَن أم مغفر إِحْدَى حرم الْأَمِير مُحَمَّد بن سعيد [23].

3. أم الْفَتْح، فَاطِمَة بنت أبي الْقَاسِم عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن غَالب الشراط من أهل قرطبة(ت613هـ)، أخذت عَن أَبِيهَا قِرَاءَة نَافِع، وختمت عَلَيْهِ بهَا الْقُرْآن غير مرّة [24].

4. صفية بنت السلطان عبد الرحمن بن هشام: قرأت للبصري[25].

5. أم شُرَيْح المقرئ من أهل إشبيلية كَانَت تقرئ الْقُرْآن لمن خلف عَلَيْهَا خلف ستر بِحرف نَافِع أخذت عَن زَوجهَا أبي عبد الله بن شُرَيْح، وَكَانَ أَبُو بكر عِيَاض بن بَقِي مِمَّن قَرَأَ عَلَيْهَا فِي صغره، وَكَانَ يفخر بذلك ويذاكر بِهِ ابْنهَا شريحا، وَيَقُول: قَرَأت على أَبِيك وأمك فلي مزية على أَصْحَابك... فَيقر لَهُ الشَّيْخ ويصدقه[26].

6. فَاطِمَة بنت عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن حَيْوَة الوشقي المقرئ، كَانَت مِمَّن طلب الْعلم وَلها سَماع من أبي دَاوُد المقرئ بدانية سنة تسعين وَأَرْبع مائَة. وَكَانَ أَبوهَا أَبُو زيد مقرئا بسرقسطة [27].

7. أم الْعَلَاء، سيدة بنت عبد الْغَنِيّ بن عَليّ بن عُثْمَان الْعَبدَرِي من أهل غرناطة (ت647) نَشَأت بمرسية وتعلمت الْقُرْآن وبرعت فِي ذَلِك وجاد خطها وَعلمت

فِي ديار الْمُلُوك عمرها كُله إِلَى أَن أصابتها زمانة أقعدتها بدارها نيفا على ثَلَاثَة أَعْوَام، وعلمت الْقُرْآن بغرناطة، ثمَّ لَحِقت بتونس فَعلمت بقصرها أَيْضا وكتبت بخطها كتاب إِحْيَاء عُلُوم الدّين لأبي حَامِد الْغَزالِيّ من أصل أبي زَكَرِيَّاء الدمشقي[28].

8. فَاطِمَة بنت أبي عَليّ حُسَيْن بن مُحَمَّد الصَّدَفِي (ت بعد590ه)، كَانَت صَالِحَة زاهدة تحفظ الْقُرْآن وَتقوم عَلَيْهِ[29].

- وتوجهت عناية بعضهن إلى معرفة التفسير ومسائل علوم القرآن، منهن:

1. رقية بنت الحاج أمين العايش اليعقوبية من أهل شنقيط (أوائل14 ه): كانت عارفة بالتفسير، و كانت تتوخى أسباب النزول وعلوم القرآن. [30]

2. صفية بنت المختار من أهل المغرب (1323 ه): كانت عارفة بالتفسير والتجويد، واشتغلت بالتدريس[31].

3. رحمة بنت الجنان المكناسية زوج الحاج عزوز: كانت عالمة بقصص القرآن وأخباره[32].

4. ابْنة فائز الْقُرْطُبِيّ زوج أبي عبد الله بن عتاب(ت446ه)، إضافة إلى جمعها للسبعة، فقد كَانَت مِمَّن اشتهر بِحِفْظ الْعلم وَالْأَدب وتفننت. وأخذت عَن أَبِيهَا فائز علم التَّفْسِير واللغة والعربية وَالشعر[33].

5. رحمة بنت الجنان المكناسية زوج الحاج عزوز: كانت عالمة بقصص القرآن وأخباره[34].

6. لالا غيلانية بنت الفقيه محمد غيلان (ت1189ه): كانت عالمة نساء تطوان لقنها والدها علوم القرآن والحديث والعربية والفقه تفتي النساء[35].

7. فَاطِمَة بنت أبي عَليّ حُسَيْن بن مُحَمَّد الصَّدَفِي. من أهل مرسية وَدَار سلفها سرقسطة (ت بعد 590ه)، كَانَت صَالِحَة زاهدة تحفظ الْقُرْآن وَتقوم عَلَيْهِ وتذكر كثيرا من الحَدِيث فِي الْأَدْعِيَة وَغَيرهَا وَكَانَت حَسَنَة الْخط ملزمة لمطالعة الْكتب[36].

رحمة بنت الجنان المكناسية زوج الحاج عزوز (محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز المعروف بالحاج عزوز الصنهاجي المكناسي): علّمها زوجها كثيرًا من تفسير قصص القرآن وأخباره [37].

المطلب الثالث

مشاركة المرأة في مجال الحديث وعلومه

تبرز عناية المرأة في الغرب الإسلامي بالحديث النبوي الشريف، تلقيا وأداء، من خلال حرصهن على السماع المسند لمصنفات الصحاح والموطآت وغيرها، ولم يتوقف النشاط عند ذلك بل تعداه إلى التعليقات على المصنفات الحديثية، وفيما يلي تفصيل لما أودعته بطون المصادر من نشاطهن العلمي في الحديث وعلومه:

كان صحيح البخاري ومسلم وموطأ مالك في مقدمة المصنفات التي اعتنت بها المرأة في سماعها وروايتها، فيذكر ابن بشكوال في كتابه الصلة: أن خديجة بنت أبي محمد عبد الله بن سعيد الشنتجيالي سمعت مع أبيها من أبي ذر عبد بن أحمد الهروي صحيح البخاري وغيره. وشاركت لأبيها في السماع من شيوخه بمكة حرسها الله، قال ابن بشكوال: "ورأيت سماعها في أصول أبيها بخطه. وقدمت معه الأندلس وماتت بها رحمها الله" [38].

ويذكر الحافظ القضاعي أن أم العز بنت محمد بن علي بن أبي غالب العبدري (ت616هـ): سمعت صحيح البخاري من أبيها بقراءتها مرتين.[39]

ويذكر الحافظ القضاعي أيضا أن فَاطِمَة بنت أبي الْقَاسِم عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن غَالب الشراط من أهل قرطبة(ت613هـ) قابلت مع أبيها صَحِيح مُسلم والسيرة لأبي إِسْحَاق، والكامل، والنوادر وَغير ذَلِك. وَسمعت من لَفظه كثيرا[40].

ويذكر ابن بشكوال أن خديجة بنت جعفر بن نصير بن التمار التميمي: حدثت

عن زوجها عبد الله بموطإ القعنبي قراءة عليه في أصله، وقيدت فيه سماعها بخطها في سنة أربع وتسعين وثلاث مائة. قال ابن نشكوال: "سمعت شيخنا أبا الحسن بن مغيث رحمه الله يذكر ذلك، وذكر لي أن الكتاب عنده، ثم رأيته بعد ذلك على حسب ما ذكره رحمه الله، ورأيت من تحبيسها كتبا كثيرة على ابنتها ابنة أبي محمد بن أسد الفقيه" (41).

بل من وشدة ولوع بعضهن بالحديث يسعى بعضهن لكتابة مصنفات بأكملها، كما صنعت فاطمة بنت أحمد زويتن، التي ذكر محمد بن علي الدكالي المؤرخ أنها كتبت نسخة من صحيح البخاري ولوعا منها بالحديث(42).

وكذلك نجد بعضهن يتتبعن كتبا في تراجم الصحابة ويدرسنه، وتكون لهن تعليقات علمية في الهوامش كما صنيع كثير من العلماء في قراءة الكتب ونقدها، فهذه خناثة بنت بكار المغافري زوج المولى إسماعيل العلوي كانت تقرأ الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر وكتبت على هامشه(43).

وكذلك زَيْنَب بنت مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الرَّحْمَن الزُّهْرِيّ (555ه – ت635ه) من أهل بنسية، أخذت عن جدها للْأُم أَبِي الْحسن بن هُذَيْل كتاب التَّقَصِّي لما في الموطأ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي عمر بن عبد الْبر(44).

• وكانت لغيرهن عناية واهتمام بالأجزاء، والمسلسلات، والأربعينيات وغيرها، منهن:

1. شريفة بنت السراج عبد اللَّطِيف بن أبي الْفَتْح مُحَمَّد بن أَحْمد الحسني الفاسي الْمَكِّيّ الْحَنْبَلِيّ أُخْت المحيوي عبد الْقَادِر قَاضِي الْحَرَمَيْنِ وسعادة الماضيين (810 – 802 ه)، سمعت من الزين أبي بكر المراغي المسلسل وَغَيره. وَأَجَازَ لَهَا عَائِشَة ابْنة ابْن عبد الْهَادِي وَابْن الكويك وَخلق.

2. بنت المغربي، زَيْنَب بنت أَحْمد بن مَيْمُون بن قَاسم التونسية الأَصْل المكية، سَمِعت من الْفَخر التوزري الْمِائَة الفراوية، وَمن الصفي الطَّبَرِيّ الأربعين البلدانية للسلفى والأربعين الثقفية ونسخة أبي مُعَاوِيَة وبكار بن قُتَيْبَة وَمن الشريف أبي عبد الله الفاسي وَحدثت وَمَاتَتْ بِمَكَّة بعد الثَّمَانِينَ، حدث عَنْهَا أَبُو حَامِد بن ظهيرة[45].

3. عَائِشَة بنت عَليّ بن عمر بن شبْل الصنهاجي الْحِمْيَرِي (ت739هـ)، أسمعها أَبوهَا من ابْن علاق والنجيب وَغَيرهمَا، وَحدثت بالكثير. قال الحافظ ابن حجر: "حدثنَا عَنْهَا بِالسَّمَاعِ أَبُو الْمَعَالِي الازهري وَغَيره"[46].

4. ضوء الصَّباح، ظَبْيَة أم الرمال بنت الشَّيْخ فَخر الدّين عُثْمَان بن مُحَمَّد بن عُثْمَان التوزري، (669هـ - 734هـ)، سمعت من أَبِيهَا وَغَيره، أسمعها أَبوهَا أبا بكر بن الْأنمَاطِي كتاب مَكَارِم الْأَخْلَاق للخرائطي وَغير ذَلِك[47].

5. عائشة بنت أحمد بن الحسن المديوني (أواخر القرن 8 هـ): وهي والدة الإمام العلامة الحفيد ابن مرزوق. ذكرها في "شرحه" على البردة وقال: ألفت "مجموعا" في أدعية اختارتها[48].

• كما تظهر عناية النساء بتحصيل الإجازات واضحة من خلال تراجمهن، ولا يتوقف الأمر عند ذلك بل يتشرف العلماء بالسماع منهن والأخذ عنهن، والاستجازة منهن، ومن ذلك:

1. رقية بنت عبد القوي بن محمد البجائي الأصل ثم المكي(ت 874هـ): محدثة، من فضليات النساء. رحل أبوها من بجاية إلى المشرق واستوطن مكة. فنشأت صاحبة الترجمة بها. أجاز لها الحافظان العراقي والهيثمي وابن صديق والزين المراغي. وأجازت هي للسخاوي صاحب الضوء اللامع[49].

2. فاطمة بنت محمد بن علي بن شريعة اللخمي: أخت أبي محمد الباجي

الإشبيلي، شاركت أخاها أبا محمد في بعض شيوخه، وأجازهما معاً محمد بن فطيس الألبيري في جميع روايته بخط يده[50].

3. عائشة بنت علي بن عمر بن شبل الصنهاجي الحميري (ت 1338م): عالمة بالحديث. روته، وحدثت بالكثير.قال ابن حجر العسقلاني: "حدثنا عنها بالسماع أبو المعالي الأزهري وغيره. وتوفيت بمصر"[51].

4. أمة الرحيم بنت ضياء الدين عيسى بن يحيى السبتي: كانت محدثة سمعت الحديث من والدها، وأجاز لها جماعة من العلماء من القرن الثامن الهجري[52].

5. أم الحياء صفية بنت محمد بن محمد بن عمر بن عنقة (القرن التاسع الهجري)، البسكرية الأصل المدنية، محدثة، من فضليات النساء. سكن أبوها المدينة المنورة، فنشأت بها. قال السخاوي: حضرت على جدها لأمها جمال الدين يوسف بن إبراهيم بن البناء نسخة أبي مسهر. وسمعت على ابن صديق، وأجاز لها أبو هريرة بن الذهبي، والتنوخي، وابن أبي المجد وجماعة، وحدثت، وأخذ عنها النجم بن فهد[53].

6. أمة الرَّحِيم بنت الشَّيْخ الضياء عِيسَى بن يحيى السبتي سَمِعت والدها وَأَجَازَ لَهَا جمَاعَة [54].

7. لمياء بنت الصَّدْر شمس الدّين مُحَمَّد بن الْقَزاز زوج الشهَاب العقبي، سَمِعت بِقِرَاءَة أخي زَوجهَا الزين رضوَان على الْجمال عبد الله الهيثمي الأول من فَوَائِد الصّقليّ، وَأَجَازَ لَهَا جمَاعَة من الْمُتَأَخِّرين واستجزتها لأجل اسْمهَا وأظهرت الْبشر لذَلِك[55].

8. أم السعد بنت عِصَام بن أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن إِبْرَاهِيم بن يحيى الْحِمْيَرِي من أهل قرطبة، وتعرف بسعدونة، لَهَا رِوَايَة عَن أَبِيهَا وجدهَا وخاليها أبي الْقَاسِم عَامر وَأبي عِيسَى أبي بكر ابْني أبي الْوَلِيد هِشَام بْن عَبْد اللَّه بْن هِشَام الْأَزْدِيّ [56].

• كما نجد بعضهن يعنى بأخذ بعض المصنفات في الحديث وعلومه من مصنفيها، كما صنعت طوية بنت عبد العزيز بن موسى بن طاهر بن مناع، وتكنى بحبيبة (437هـ ـ 506هـ) حين أخذت عن أبي عمر بن عبد البر الحافظ كثيرا من كتبه وتواليفه، وعن أبي العباس أحمد بن عمر العذري الدلاي [57].

• ومنهن من أولت عنايتها بحفظ أبواب معينة من مصادر السنة الصحيحة الثابتة، كما هو حال العالمة رحمة بنت الجنان المكناسية زوج الحاج عزوز (محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز المعروف بالحاج عزوز الصنهاجي المكناسي): التي حفظت من زوجها حديثًا كثيرًا من الصحاح، وكادت تحيط بحفظ الأدعية الورادة في الصحاح، وعلّمها كثيرًا من تفسير قصص القرآن وأخباره [58].

• وأشارت مصنفات التراجم إلى عناية بعض النساء بالحديث النبوي دون أن تحدد مجاله، من ذلك:

1. لالا غيلانية بنت الفقيه محمد غيلان (ت1189هـ): كانت عالمة نساء تطوان لقنها والدها علوم القرآن والحديث والعربية والفقه تفتي النساء[59].

2. فَاطِمَة بنت أبي عَليّ حُسَيْن بن مُحَمَّد الصَّدَفِي. من أهل مرسية (ت بعد590هـ)، كَانَت تذكر كثيرا من الحَدِيث فِي الْأَدْعِيَة وَغَيرهَا[60].

3. قُرَّة الْعُيُون، هَاجر بنت عَليّ بن عمر بن شبْل الصنهاجية أُخْت عبد الله وَعَائِشَة: محدثة سَمِعت على الْعِزّ الْحَرَّانِي[61].

4. أم المجد مريم بنت أبي الحسن الشاري الغافقي السبتي أخذت الحديث ووصفها محمد بن القاسم السبتي في كتابه " اختصار الأخبار عما كان بسبتة من سني الآثار " بالعجوز المسنة المسندة [62].

5. زَيْنَب بنت أبي عمر يُوسُف بْن عَبْد الله بْن مُحَمَّد بن عبد الْبر النميري سَمِعت أَبَاهَا كثيرا وسكنت مَعَه شَرق الأندلس وَكَانَت من صوالح النِّسَاء وَهِي أم سبطه أبي مُحَمَّد عبد الله بن عَليّ اللَّخْمِيّ [63].

6. زينب بنت إبراهيم بن يوسف بن قرقول المتوفى عام 569هـ، سمعت على أبيها، وهي عالمة ضابطة متقنة الرواية(64).

7. غالية بنت محمد المعلمة الأندلسية، تروي عن أصبغ بن مالك الزاهد، ذكرها مسلمة بن قاسم في كتاب النّساء له(65).

8. خديجة بنت أحمد بن عزوز الحميدي الفاسية قرأت الروايات عن الحسن جنبور ، وتوفيت في فاس سنة 1323هـ(66).

الخاتمة

في ختام هذا البحث نلحظ أن عناية المرأة في الغرب الإسلامي ليس مثل غيرها من نواحي المشرق الإسلامي من حيث الجو العلمي المتاح، وكثرة المجالس، وشيوخ العلم، وخاصة في الحرمين الشريف قبلة العلماء، ومع ذلك نجدها تحدت الظروف والأعراف، وسجلت لنفسها موقعا علميا، متكيفة بذلك مع ظروفها المعيشية، ومتطلبات حياتها.

وجدنا من خلال هذا البحث المرأة المغربية المقرئة الجامعة للقراءات السبع، بل أكثر، ووجدناها حافظة مسندة، محدثة بالسماع والإجازة وغيرها لمصنفات السنة، وليس هذا فقط، فهي الشارحة والمعقبة على كلام العلماء. فهي التلميذة وهي الشيخة تلقت وأدت، وسطرت لنفسها سجلا حافلا في مصادر الأعلام، ومعاجم النساء، وفهارس المؤلفات.

الحواشي والإحالات:

(1) التكملة لكتاب الصلة (4/ 240)

(2) التكملة لكتاب الصلة (4/ 244 -245)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (5/ 411)

(3) التكملة لكتاب الصلة (4/ 253)

(4) التكملة لكتاب الصلة (4/ 263)

(5) معجم المحدثين والمفسرين، ص28

(6) التكملة لكتاب الصلة (4/ 264)

(7) التكملة لكتاب الصلة (4/ 264)

(8) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (2/ 399)

(9) معجم المحدثين والمفسرين، ص20

(10) التكملة لكتاب الصلة (4/ 263)

(11) الضوء اللامع 12: 71، ومعجم أعلام الجزائر (ص: 23 – 24)

(12) الدرر الكامنة 2: 237، والأعلام للزركلي (3/ 240)

(13) التكملة لكتاب الصلة (4/ 265)

(14) التكملة لكتاب الصلة (4/ 251)

(15) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال (ص: 657)

(16) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص: 546) رقم:1595

(17) معجم المحدثين والمفسرين، ص14

(18) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لأبي عبد الله الأوسي المراكشي (5/412)

(19) معجم المحدثين والمفسرين، ص28

(20) التكملة لكتاب الصلة (4/ 251)

(21) معجم المحدثين والمفسرين، ص19

(22) معجم المحدثين والمفسرين، ص14

(23)التكملة لكتاب الصلة (4/ 264)

(24)التكملة لكتاب الصلة (4/ 263)

(25) معجم المحدثين والمفسرين، ص20

(26) التكملة لكتاب الصلة (4/ 254 – 255)

(27) التكملة لكتاب الصلة (4/ 256)

(28) التكملة لكتاب الصلة (4/ 265)

(29) التكملة لكتاب الصلة (4/ 263)

(30) معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (2/ 772)، ومعجم المحدثين والمفسرين، ص20، وفيه ابن العايش بدل أمين العايش.

(31) معجم المحدثين والمفسرين، ص20. ومعجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (2/ 776)

(32) معجم المحدثين والمفسرين، ص14

(33) التكملة لكتاب الصلة (4/ 251)

(34) معجم المحدثين والمفسرين، ص14

(35) معجم المحدثين والمفسرين، ص28

(36)التكملة لكتاب الصلة (4/ 263)

(37) معجم المحدثين والمفسرين، ص14 . ونيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص: 523)، وإتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس (3/ 83)

(38) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال (ص: 657)

(39) التكملة لكتاب الصلة للحافظ أبي عبد الله القضاعي البلنسي، (4/ 263) .

(40) التكملة لكتاب الصلة (4/ 263)

(41) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال (ص: 654)

(42) معجم المحدثين والمفسرين، ص29

(43) معجم المحدثين والمفسرين، ص19

(44)التكملة لكتاب الصلة (4/ 264)

(45) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (2/ 249)

(46)الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (3/ 4). ومعجم المحدثين والمفسرين، ص21

(47) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (2/ 399)

(48) نفح الطيب 5: 420.و معجم أعلام الجزائر (ص: 289)

(49) الضوء اللامع 12: 34. ومعجم أعلام الجزائر (ص: 35)

(50) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص: 547) الترجمة رقم: 1597

(51) الدرر الكامنة 2: 237، والأعلام للزركلي (3/ 240)

(52) معجم المحدثين والمفسرين، ص14

(53) الضوء اللامع 12: 71، ومعجم أعلام الجزائر (ص: 23 – 24)

(54) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (1/ 491)

(55) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (12/ 122)

(56) التكملة لكتاب الصلة (4/ 264)

(57) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال (ص: 658). وينظر: تاريخ الإسلام ت بشار (11/ 76). والتكملة لكتاب الصلة (4/ 254 – 255)

(58) معجم المحدثين والمفسرين، ص14 . ونيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص: 523)

(59) معجم المحدثين والمفسرين، ص28

(60) التكملة لكتاب الصلة (4/ 263)

(61) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (6/ 166). ومعجم المحدثين والمفسرين، ص38.

(62) معجم المحدثين والمفسرين، ص38

(63) التكملة لكتاب الصلة (4/ 253)

(64) معجم المحدثين والمفسرين، ص20

(65) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال (ص: 653)، وبغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص: 546) رقم: 1594

(66) معجم المحدثين والمفسرين، ص19 .